

قراءة في بعض المباحث الدلالية عند " ابن جني «(320 هـ -
392هـ) -

من خلال كتابه الخصائص

**The semantic detective of "Ibn Jinny "(320 e 392e)
from his book Al khasais**

الدكتورة: نسيمه لـوح

أستاذة محاضرة - قسم "ب" -

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة البليدة 2

الملخص:

لقد كان لعلماء العرب القدامى إسهامات جليلة في شتى العلوم،
ومن بين هؤلاء العلماء الذين كان لهم أثر في الدراسات اللغوية " أبو الفتح
عثمان ابن جني (320 هـ -392هـ) " صاحب كتاب (الخصائص)، الذي
يعدّ منهلا لكلّ باحث في اللغة، فما هي أهم المباحث الدلالية في هذا
الكتاب؟ وسنحاول في هذا المقال الوقوف على بعض الآراء الدلالية لابن
جني " من خلال كتابه (الخصائص).

الكلمات المفتاحية: اللغة - البحث الدلالي - ابن جني - الخصائص.

.The summary:

The old Arab scientists have studied a various fields of
science ,and from them who had a lot of impact on linguistic
studies is "Abul Fateh Osman Ibn Jinny " (320 e 392e) his
important book (Alkhasais) ,which is an interest book for all
research of language and in this article we attempts to pause on
the semantic views of Ibn Jinny from his book (Al khasais).

keywords: language- semantic- search- Ibn Jinny -Alkhasais.

- مدخل: لمحة عن المباحث الدلالية في التراث العربي:

إنّ البحث في القضايا الدلالية ليس جديداً على الدراسات اللغوية العربية، بل توجد العديد من المسائل التي تدخل في باب الدلالة قام علماء العرب بدراساتها في مرحلة مبكرة "وبلغوا من بحث مشكلاتها وقضاياها ما لم يبلغه علماء اللغات في العصور الحديثة"¹، ولو أنّ معالجتهم لهذه المباحث كانت ضمن علوم أخرى، ولم يقتصر درس الدلالة على اللغويين فحسب، بل حتّى الفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة وغيرهم من دارسي الإعجاز والبلاغة والنقد وشرح الشعر² قد ساهموا في إثراء كثير من المباحث الدلالية.

ويعدّ علماء العرب القدامى الذين قاموا بجمع وتدوين اللغة الفصيحة في رسائل ذات موضوعات دلالية -اصطلح على تسميتها رسائل المعاني- من الرّواد، إذ تشبه رسائلهم هذه ما يطلق عليه في الدراسات الدلالية الحديثة: الحقول الدلالية، واستمرت هذه الدراسات في التطور حتى وصلت إلى صورتها المثلى في المعاجم، التي تبحث في الكلمات ومعانيها وتدرس صلتها بالأصوات والاشتقاق والحقيقة والمجاز والمهمل والمستعمل والعامّ والخاصّ والمشتراك والمترادف وكل هذه جوانب دلالية.

وهناك العديد من المسائل الدلالية التي عولجت في كتب لغوية، كالبحث في نشأة اللغة ودلالة ألفاظها والكلام عن المشترك والمترادف والفروق، والعلاقة بين اللفظ والمعنى من حيث الأصوات والأبنية الصرفية وأثر السياق والمقام في تغيير المعنى، ومن الكتب التي تناولت هذه

المسائل: كتاب (الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها) " لأحمد ابن فارس (ت 395هـ) " و(فقه اللّغة وسرّ العربيّة) " لأبي منصور النّعالي(ت429هـ) "، ويعدّ كتاب (المزهر في علوم اللّغة وأنواعها) " للسيوطي(ت911هـ) " خلاصة للجهود التي سبقته، وقد تناولت كتب الغريب سواء غريب القرآن أو غريب الحديث النّبوي الشّريف، العديد من الجوانب الدّلالية كمعالجة الغريب من الألفاظ، والألفاظ الإسلامية ومعاني البيان القرآني ككتاب (المفردات في غريب القرآن) " للرّاعب الأصفهاني(ت 502هـ) " و(الفائق في غريب الحديث) " لجار الله الزمخشري (ت 538هـ) "، إضافة إلى بعض المعاجم التي كانت ثمرة كتب فقهية (كالمغرب في ترتيب المعرب) " للمطرزي (ت610هـ) "، الذي عني بشرح غريب الألفاظ التي ترد في كتب الفقه الحنفي مع شرح مزيد من غرائب اللّغة³.

ولقد عني نقّاد الشّعْر وشراحه بالعديد من القضايا الدّلالية، أهمّها قضية اللفظ والمعنى والحقيقة والمجاز، وعني بعضهم الآخر بالغريب والمأنوس والوحشي وغير ذلك ممّا يتّصل بالألفاظ ومجالات استعمالها ومناسبتها لأغراض الشّعْر، ومن أهمّ الكتب التي تطرّقت إلى هذه المباحث كتاب (الموازنة) "سيف الدين أبو الحسن علي الأمدي (ت631هـ) "، الذي قام بعمل تطبيقي دأب فيه على تفصيل جوانب دلالة اللفظة وبحث في الوضع الصّحيح لها ومقارنتها بمرادفاتها ومدى ملاءمتها للسياق⁴، وكذلك كتاب (الوساطة) " للقاظي الجرجاني(ت392هـ) و(عيار الشّعْر) "لأبي الحسن بن طباطبا (ت322هـ) " و(نقد الشّعْر) "لقدامة بن جعفر(ت337هـ) " وغيرها.

وفي كتب الإعجاز القرآني كثير من مسائل الدلالة كالترادف والفروق وصفات الألفاظ ونحوها، ومن أهم هذه الكتب (بيان إعجاز القرآن) للخطّابي (ت388هـ) و(النكت في إعجاز القرآن) لـعلي بن عيسى الرمانى (ت386هـ) و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) و(إعجاز القرآن) للباقلانى (ت403هـ) وغيرها، ولا يمكننا حصر جميع الكتب التي تناولت مواضيع دلالية لكثرتها وتشعب مباحثها، لذا سنحاول أن نتطرق إلى بعض المباحث الدلالية عند أحد أعلام القرن الرابع الهجري وهو "أبو الفتح عثمان ابن جني (320 هـ - 392 هـ)" في كتابه (الخصائص) الذي يعدّ درّة في الدّراسات اللغويّة، وقد ضمّ بين دفتيه مباحث دلالية جديرة بالبحث والدّراسة، وسنحاول تناولها باختصار .

1- نشأة اللّغة:

لقد تناول كثير من العلماء قضية نشأة اللّغة، هل هي توقيف وإلهام أم تواضع واصطلاح ونجد " ابن جني" يورد آراء معاصريه، خاصّة أستاذه "أبي علي الفارسي(ت377هـ)" في (باب القول على أصل اللّغة أنّها إلهام أم اصطلاح)، فيقول في هذا الباب :«هذا موضع محوج إلى فصل تأمل، غير أنّ أكثر أهل النّظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف إلّا أنّ أبا علي-رحمه الله- قال لي يوما: هي من عند الله، واحتجّ بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وهذا لا يتناول موضع الخلاف، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة»⁵، وهذا التّأويل يوضح لنا موقف " ابن جني" الذي يميل إلى عرقية الدّلالة اللّغوية، ولكنّه لا يستقرّ على هذا الرّأي حين استحسّن مذهب القائلين بطبيعة اللّغة المستلهمة من أصوات الطّبيعة، يقول في ذلك :«وذهب بعضهم إلى أنّ

أصل اللّغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الرّيح، وحنين الرّعد وخرير الماء، وشحيج الحمار ونعيق الغراب، وصهيل الفرس ونزيب الطّبي ونحو ذلك، ثمّ ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، و مذهب متقبّل «⁶، ولا يلبث " ابن جني " يذهب هذا المذهب حين ينظر إلى جمال اللّغة العربيّة، إذ يقول :«إنّني إذا تأملت حال هذه اللّغة الشّريفة، الكريمة اللّطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدّقة والإرهاف والرّقة ما يملك علي جانب الفكر، حتّى يكاد يطمح به أمام غلوة السّحر، فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا -رحمهم الله- ومنه ما حدوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وأماده صحة ما وقّعا لتقديمه منه «⁷.

وخلاصة القول في موقف " ابن جني " أنّه وقف موقفا وسطا، فقال بالإلهام والاصطلاح معا، إذ افترض أن يكون الله قد خلق قبلنا أقواما كانت لهم القدرة على الاصطلاح والتّواضع في تسمية الأشياء، يقول " ابن جني " : «فأقف بين تين الخلتين [الإلهام والعرف] حسيرا، وأكاثرهما فانكفئ مكثورا، وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلق الكف بإحدى الجهتين أو يكفّها عن صاحبتهما قلنا به»⁸، ونلمس في هذا القول حيرة "ابن جني" في الأخذ بأحد الموقفين.

2-اللفظ والمعنى:

لقد أفرد " ابن جني " أبوابا في الخصائص لعرض العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهي أربعة أبواب : (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) و (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) و (الاشتقاق الأكبر)، ومن الأقوال الّتي تستوقفنا في الخصائص

قول "ابن جني": «...وذلك أَنَّ العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها، وتزاعياها وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارة وبالخطب أخرى... فإنَّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنَّها كانت عنوان معانيها وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها ورتَّبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السَّمع وأذهب لها في الدَّلالة على القصد، ألا ترى أَنَّ المثل إذا كان مسجوعا لذَّ لسامعها فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النَّفس به ولا أنفت لمستمعه...»⁹ والملاحظ أَنَّ اهتمام "ابن جني" باللفظ كان من أجل تحقيق المعنى أو المقاصد، ومن هنا فكلَّ أمة تحتاج إلى ألفاظ بعينها يقتضيها العرف في الاستعمال¹⁰، ففي باب (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) يعلِّل "ابن جني" الصَّيغ المختلفة التي ترتمي إلى موضع واحد ويجد لها علاقة مشتركة يقول:

« من ذلك قولهم للدم: الجديَّة والبصيرة فالدم من الدِّمَّة لفظا ومعنى وذلك أَنَّ الدِّمَّة إِنَّمَا هي للعين والبصر، وإذا شوهدت فكأنَّ ما هي صورته مشاهد بها وغير عائب مع حضورها، فهي تصف حال ما بعد عنك، وهذا هو الغرض في هذه الصُّور المرسومة للمشاهدة وتلك عندهم حال الدِّم، ألا ترى أَنَّ الرَّمِيَّة إذا غابت عن الرَّامي استدَلَّ عليها بدمها فاتَّبَعه حتَّى يُوَدِّيَه إليها، ويؤكد ذلك لك قولهم فيه (البصيرة)، وذلك أنَّها إذا أبصرت أدَّت إلى المرميِّ الجريح ولذلك أيضا قالوا له (الجديَّة) لأنَّه يجدي على الطَّالب للرَّمِيَّة ما يبيغيه منها، ولو لم ير الدِّم لم يستدلَّ عليها ولا عرف موضعها، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «كل ما أصيبت ودع ما أنميت»¹¹، ومعنى الحديث كل ما قتل من الصَّيد وترك ما أصبته إصابة غير قاتلة ثمَّ غاب عن نظرك ومات بعد ذلك .

ومما يحسب "لابن جني" تنبيهه لظاهرة لغوية أفرد لها بابا سماه (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وتتمثل هذه الظاهرة التي اشتهر بها في وجود تقارب دلالي بين معاني ألفاظ لتقارب مخارج حروف ألفاظها، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾ (مريم. الآية 83)، إذ يشرح "ابن جني" الفعل أَرَّ فيقول: «أي تزعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ ما لا بال له، كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك»¹²، ومن أمثلتها كذلك قوله: «ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة كما أنّ الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين كما أنّ أسف النفس أغلظ من التردّد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظتين لتصاقب المعنيين... واستعملوا تركيب (ج ب ل) و(ج ب ن) و(ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، ومنه الجبل لشدّته وقوّته، وجبُن إذا استمسك وتوقف وتجمّع، ومنه جبرت العظم ونحوه إذا قوّيته»¹³، فهو يرى أنّ تشابه أصوات الألفاظ وتقاربها في المخرج، يؤدّي إلى تشابه في معانيها، «وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين، نحو قولهم: السّحيل والصّهيل... وذلك من (سحل) وهذا من (سهل) والصّاد أخت السين، كما أنّ الهاء أخت الحاء، ونحو منه قولهم (سحل في الصّوت) و(زحر) والسين أخت الزّاي، كما أنّ اللّام أخت الرّاء»¹⁴، كما أشار "ابن جني" في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) إلى وجود علاقة طبيعية بين الصّوت ودلالته مستدلاً بقول الخليل: «اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه إليه الخليل وسيبويه وتلقّته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحّته، فال خليل: كأنهم توهّموا

في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا :صر، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر ¹⁵، قال "ابن جني": « فأما مقابلة الألفاظ بما يشكّل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج ملتئم عند عارفيه مأموم وذلك أنّهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقرّه وإضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم :خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقتاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»¹⁶، ومن الأمثلة كذلك استشهاده بالنضح والنّضح، «والنّضح للماء ونحوه، والنّضح أقوى من النّضح قال تعالى : ﴿ فيهما عينان نضّاختان ﴾ (سورة الرحمن الآية 66)، فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضّعيف، والحاء لغلظها لما هو أقوى منه ¹⁷ ومثال ذلك كذلك القُدُّ والقَطُّ، فالقُدُّ للقطع طولا، والقَطُّ للقطع عرضا، فالطاء تفيد السّريعة، ومن ثمّ استخدمت في قطع العرض، أمّا الدّال التي تفيد المماطلة والطّول فاستخدمت لقطع الطّول ¹⁸.

ويعقد " ابن جني" في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) تفريعا دلاليا للفعّل، الذي كان يسمّيه (اللفظ) لأنّ الفعل يحمل دلالة بنيته المورفولوجية، كما يقدّم لنا سمات الفاعل ومكوّناته الأساسية إضافة إلى الدّلالة الزّمانية التي تعين على تحديد قيمة الدّلالة للصيغة المعجمية¹⁹ وعليه يقسّم "ابن جني" الدّلالة إلى ثلاثة أقسام :الدّلالة اللفظية والدّلالة الصّناعية والدّلالة المعنوية، يقول "ابن جني": «ألا ترى إلى (قام

ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه ²⁰، كما يورد "ابن جني" الدلالات التي تفيد صيغ مختلفة للأفعال، إذ يقول: «وكذلك قطع وكسر، فنفس اللفظ هاهنا يفيد معنى الحث، وصورته تفيد شيئين أحدهما الماضي والآخر تكثير الفعل، كما أن ضارب يفيد بلفظه الحدث وبنائه الماضي، وكون الفعل من اثنين وبمعناه أن له فاعلا فتلك أربعة معان...» ²¹، ويقر "ابن جني" بوجود علاقة بين اللفظ ومعناه في إيراده، لقول سيبويه الذي يرى فيه أن المصادر التي تكون على وزن فعلان تدل على الحركة المصاحبة للحدث، فيقول: «وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقران والغليان والغثيان، فقابلوا توالي حركات المثال كتوالي حركات الأفعال» ²².

كما التفت "ابن جني" إلى ظاهرة صوتية لها علاقة قوية بالمعنى، وهي التنعيم: وهو رفع الصوت أو إطالته أو تقصيره من أجل الوصول إلى دلالة محددة، يقصد المتكلم أن تصل إلى السامع، كالتعجب أو الاستفهام أو السخرية أو التحذير وغيرها ²³، يقول "ابن جني": «وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول (كان والله رجلاً) فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً وكذلك تقول (سألناه فوجدناه إنساناً)، وتمكن الصوت ب(إنساناً) وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً، وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: (سألناه وكان إنساناً) وتزوي بوجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئماً أو بخيلاً» ²⁴.

وعرض " ابن جني " للترادف في باب سمّاه (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، إذ يقول: «هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قويّ الدلالة على شرف هذه اللّغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل (كلّ اسم) منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه»²⁵، وبهذا الرّأي يخالف " ابن جني " كثيرا من علماء عصره الذين أنكروا وجود التّرادف في لغة العرب، وعلى رأسهم أستاذه أبو علي الفارسي.

وأفرد " ابن جني " بابا للاشتقاق سمّاه (باب في الاشتقاق الأكبر)، وقد وظّف فيه فكرة التّقاليب "للخليل ابن أحمد" التي بنى عليها معجمه (العين)، ويذكر " ابن جني " أنّ هذا النّوع لم يسمّيه أحد من أصحابه غير أنّ شيخه " أبو علي الفارسي " كان يستعين به ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، ولكنّه مع ذلك لم يسمّه²⁶، يقول " ابن جني ": «وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه السّنة معنى واحدا، تجتمع التّراكيب السّنة وما يتصرّف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك ردّ بلطف الصّناعة والتّأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التّركيب الواحد»²⁷، ومن الأمثلة التي يسوقها، تقليب مادّة (ق س و):

(القسوة): هي شدّة القلب واجتماعه.

(القوس): لشدّتها واجتماع طرفيها.

(الوقس): لابتداء الحرب وذلك لما فيه من الجمع والشدّة.

(الوسق): للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته.

ومن (الوسق): قيل: وسق: جمع، واستوسق الأمر: اجتمع.

(السوق): لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض.

ويقَرّ "ابن جني" بصعوبة هذا النوع من الاشتقاق، وأنه لا يدّعي استمراره في مجموع اللّغة: «وهذا أعوص مذهباً، وأحزن مضطرباً، وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام السّنة على القوة والشّدة...»²⁸.

3 . الحقيقة والمجاز:

يعرّف "ابن جني" (الحقيقة والمجاز) قائلاً: «الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللّغة، والمجاز ما كان بضدّ ذلك، وإنّما يقع المجاز ويبعد إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة، فمن ذلك قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم في الفرس: هو بحر، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه، فأما الاتّساع فلأنّه زاد في أسماء الفرس التي هي (فرس وطرف وجواد ونحوها)، البحر حتّى أنّه إذا احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتّساع استعمل استعمال بقيّة تلك الأسماء، لكن لا يفضي إلى ذلك إلّا بقرينة تسقط التّشبهة، وذلك كأن يقول الشّاعر:

علوت مطا جوادك يوم يوم وقد نمد الجواد فكان بحراً

وكان يقول السّاجع: فرسك هذا إذا سما بغرته كان فجراً، وإذا جرى إلى غايته كان بحراً، وأمّا التّشبيه فلأنّ جريه يجري في الكثرة مجرى مائه، أمّا التّوكيد فلأنّه يشبه العرض بالجوهر وهو أثبت في النفوس منه»²⁹.

فالحقيقة حسب "ابن جني" وغيره من العلماء، هي استعمال اللفظ في وضعه الأول بحيث لا يتبادر إلى الذهن غير ذلك المعنى حينما يطلق، كاستعمال (القلم) للدلالة على آلة الكتابة ويسمى هذا النوع الحقيقة اللغوية، لأن الألفاظ تستعمل بمعناها الأول لأنه أصل فيما هو موضوع له³⁰.

أما المجاز الذي يعدّ من أهم طرق تطوّر الدلالات، فإن "ابن جني" كما ورد في قوله يبيّن بالمثل دواعي انتقال اللفظ من الحقيقة إلى المجاز، وذلك في باب أفرده للفرق بينهما، مؤكداً أنّ الحقيقة أصل والمجاز فرع عليها³¹، ويذكر أنّ حجة القول بوجود المجاز في اللغة هو: «النقل المتواتر عن العرب، لأنهم يقولون: استوى فلان على متن الطريق، ولا متن لها، وفلان على جناح السفر ولا جناح للسفر، وشابت لمة الليل، وقامت الحرب على ساق، وهذه كلّها مجازات، ومنكر المجاز في اللغة جاحد للضرورة، ومبطل محاسن لغة العرب، قال "امرؤ القيس"³²:

فقلت له لما تمطّى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلّكل

وليس لليل صلب ولا أرداف، وكذلك سمّوا الرجل الشجاع أسداً، والكريم والعالم بحراً، والبليد حماراً، لمقابلة ما بينه وبين الحمار في معنى البلادة، والحمار حقيقة في البهيمة المعلومه وكذلك الأسد حقيقة في البهيمة، ولكنّه نقل إلى هذه المستعارات تجوّزاً³³، ومن الأمثلة التي يوردها. «قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾³⁴، فالتّسع لأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصحّ في الحقيقة سؤاله... وأما التّشبيه فلأنّها شبّهت بمن يصحّ سؤاله، فأما التّوكيد فلأنّه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على من ليس ما عادته

الإجابة، فكأنهم تضمّنوا لأبيهم عليه الكلام أنّه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم، وهذا تناه في تصحيح الخبر، أي لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا، فكيف لو سألت مَنْ مِنْ عاداته الجواب»³⁵.

ويرى "ابن جني" أنّ أكثر كلام العرب إنّما هو مجاز، لكن لكثرة دوران اللفظ على الألسنة اكتسب سمة الدلالة الحقيقية، فالتركيب اللغوية التي نخالها ذات دلالة حقيقية هي في الأصل ذات دلالة مجازية³⁶، يقول "ابن جني": «اعلم أنّ أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة وذلك عامة الأفعال، نحو قام زيد، وقعد عمرو... وجاء الصيف وانهزم الشتاء...»³⁷، كما أنّ "ابن جني" قد اهتم بظاهرة التّغير الدّلالي في باب سمّاه باب (باب في اقرار الألفاظ على أوضاعها الأوّل ما لم يدع داع إلى التّرك والتّحوّل)³⁸، ويورد عدّة أمثلة من ذلك بحثه في أصل الفعل (عقر) ودلالته على الصّوت في قول العرب: رفع عقيرته، يقول "ابن جني": «أنّ رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثمّ صرخ بأعلى صوته، فقال النّاس رفع عقيرته»³⁹، فالأصل رفع الرّجل المعقورة لكن تغيّرت الدّلالة لتعني رفع الصّوت.

وفي سياق الحديث عن المحذور اللّغوي يقول: «...وذلك كقول الله عزّ اسمه: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (سورة البقرة: 187)، وأنّ لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنّما تقول: رفثت لها أو معها لكنّه كما كان الرّفث هنا هو معنى الإفشاء، وكنت تعدّي أفضيت ب (إلى) كقولك أفضيت إلى المرأة، جيئت ب (إلى) مع الرّفث إيذاناً وإشعاراً أنّه بمعناه...»⁴⁰، ومن أسباب التّغير الدّلالي التي أشار إليها "ابن جني" استئصال اللفظ ونفور الحسّ عنه، يقول: «أما إهمال ما أهمل ممّا تحمله

قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستتقال وبقية ملحقة به، ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص، وطس وظث ... وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه»⁴¹.

وخلص القول أنّ هذه الجهود والإسهامات في مجال الدلالة لا يمكن إغفالها وتجاوزها، لأنّ الدّراسات الحديثة أثبتت صحّة كثير من الآراء التي جاءت على لسان القدماء، ولعلّ استجدانا بحدّ "ابن جني" للغة كلّما أردنا تعريفا لها خير دليل على قيمة إسهاماته العلمية في شتّى علوم اللغة، لأنّ تحديد "ابن جني" للغة أنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم⁴² تحديد شامل كامل للغة، فقد أشار إلى طبيعتها الصوتية حيث تمثّل الأصوات أصغر وحداتها، وأشار إلى طبيعتها الاجتماعية باعتبارها وسيلة للتّواصل، وهذا ما نادى به كثير من علماء اللّسانيات المحدثين .

إنّ هذه الآراء والمباحث ما هي إلّا غيض من فيض، مقارنة بما يزخر به (الخصائص) من أمثلة تعدّد أفكار هذا العالم، الذي لا تزال كثير من آرائه في حاجة إلى البحث والتّقيب، خاصّة وأنّها تتقاطع مع ما توصّلت إليه الدّراسات الحديثة في عدّة جوانب.

- قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- 1- "بحوث لغوية" أحمد مطلوب. ١ لأردن. عمان دار الفكر للنشر والتوزيع، ط١، 1987 م.
- 2- "الخصائص «أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار-لبنان - بيروت دار الكتاب العربي. ط2.
- 3- "الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني «. الهيئة المصرية للكتاب. ط4.
- 4- "دراسات في الدلالة والمعجم " رجب عبد الجواد. القاهرة. دار الآفاق العربية. ط2016/1م.
- 5- " شرح المعلقات السبع " أبو عبد الله الحسين بن أحمد الرّوزني (ت486هـ). تقديم عبد الرحمن المصطاوي. لبنان. بيروت. دار المعرفة. ط2. 1425هـ. 2004م.
- 6- "الظاهرة الدلالية "صلاح الدين زرال. الجزائر. منشورات الاختلاف -لبنان. الدّار العربيّة للعلوم. ط2008/1م.
- 7- "علم الدلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي" منقور عبد الجليل. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ط2010م.
- 8- "علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق "د.فايز الداية. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية 1988م.
- 9- "فقه اللّغة وخصائص العربيّة " محمد المبارك. بيروت دار الفكر. ط7/ 1981م.
- 10- "مدخل إلى فقه اللغة العربيّة " أحمد محمد قدور. دمشق المطبعة العلمية دار الفكر. ط3/1424هـ-2003م.

- 1- "فقه اللغة وخصائص العربية" محمد المبارك. بيروت دار الفكر. ط7/ 1981م. ص 131
- 2- مدخل إلى فقه اللغة العربية " أحمد محمد قدور. دمشق المطبعة العلمية دار الفكر. ط1424/3-هـ 2003م ص272.
- 3- ينظر: المرجع نفسه. ص 273.
- 4- ينظر: "علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق" د.فايز الداية. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية 1988م. ص54 و55.
- 5- "الخصائص" أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار - لبنان - بيروت دار الكتاب العربي. ط2/ ج1 ص 40 و 41 .
- 6- المصدر نفسه. ج1 ص46 و 47 .
- 7- المصدر نفسه. ج1 ص 47
- 8- المصدر نفسه. ج1 ص 47.
- 9- المصدر نفسه. ج1 ص 190.
- 10- "الظاهرة الدلالية" صلاح الدين زرال. الجزائر. منشورات الاختلاف - لبنان.
- الذّار العربيّة للعلوم. ط1/ 2008م. ص117.
- 11- "الخصائص". ج2 ص132.
- 12- الخصائص ". ج2 ص146
- 13- المصدر نفسه. ج 2 ص 146 إلى 149.
- 14- المصدر نفسه. ج2 ص149.
- 15- المصدر نفسه. ج2 ص152.
- 16- المصدر نفسه. ج2 ص157 إلى 161 .
- 17- "الخصائص". ج2 ص158.
- 18- المصدر نفسه. ج2 ص158.
- 19- "علم الدلالة أصوله ومباحثه في الثّرات العربي" منقور عبد الجليل. الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية. ط1/ 2010. ص157
- 20- الخصائص ". ج3 ص 98 .
- 21- المصدر نفسه. ج2 ص152.
- 22- المصدر نفسه. ج2 ص152.
- 23- "دراسات في الدلالة والمعجم " رجب عبد الجواد. القاهرة. دار الآفاق العربيّة. ط1/ 2016. ص12.
- 24- "الخصائص". ج2 ص370 و371.
- 25- المصدر نفسه. ج2 ص 113.
- 26- المصدر نفسه. ج2 ص133 .
- 27- المصدر نفسه. ج2 ص 133 و134.
- 28- المصدر نفسه. ج2 ص134 و135.
- 29- المصدر نفسه. ج2 ص442 و443

- "بحوث لغوية" أحمد مطلوب .الأردن. عمّان دار الفكر
30 للنشر والتوزيع. ط1/1987م. ص71 .

31- الخصائص". ج1 ص332 .

32- ينظر: " شرح المعلقات السبع " أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزني
(ت486هـ). تقديم عبد الرحمن المصطاوي. لبنان .بيروت . دار المعرفة . ط2 -

1425 هـ - 2004 م . ص44 .

33- " الخصائص". ج2 ص442.

34- سورة يوسف. الآية 82.

35- "الخصائص". ج2 ص447.

36- " علم الدلالة " عبد الجليل منقور. ص162

37- " الخصائص". ج2 من ص442 إلى ص458.

38- "الخصائص " . الهيئة المصرية للكتاب. ط4/دت . ج2 ص510 .

39- "الخصائص". ج1 ص66 .

40- "الخصائص". ج2 ص310.

41- المصدر نفسه . ج1 ص55.

42- المصدر نفسه . ط4 . ج1 ص34.